

الأوضاع السياسية في عهد الإمبراطور جستنيان الأول وخلفائه (527 – 610 م)

أ.حنان إبراهيم الورفلي

جامعة بنغازي -كلية الآداب -قسم التاريخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

اقتطعت الإمبراطورية البيزنطية من تاريخ الإنسانية أكثر من عشرة قرون من الزمن أي ما يزيد عن ألف سنة، وقد حكمتها العديد من الأسر التي حافظت على مقوماتها الحضارية ووجودها السياسي، ولكنها في كثير من الأحيان تعرضت إلى الضعف والانهيار، ولقد اتسم تاريخ هذه الإمبراطورية بسمات وخصائص معينة، وتعاقب على عرشها عددا كبيرا من الأسر بعضها نُسب إلى مؤسسها والبعض الآخر إلى المواقع التي قدمت منها.

تناول هذا الموضوع الأوضاع السياسية في عهد الإمبراطور (جستنيان الأول 527-610م) الذي حاول إعادة توحيد الإمبراطورية البيزنطية، واتضح ذلك من خلال ما قام به من أعمال، لذلك شهدت الإمبراطورية في عصر هذه الأسرة أوج مجدها لما لها من اهتمامات خاصة في المجالات المعمارية، حيث عُبدت الطرق وبُنيت الجسور والقصور والمستشفيات وبناء الكنائس إضافة إلى اهتماماتهم بالتعليم والفن والعلوم.

تكمن أهمية هذا الموضوع في إلقاء نظرة موضوعية وشاملة على جوانب من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في ظل هذه الأسرة، وذلك بفضل ما قامت به من أسس لبناء الدولة وإبراز أهم تنظيماتها وإصلاحاتها سواء الإدارية أو العسكرية أو المعمارية أو الدينية.

وقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي السردى مع تحليل بعض المعلومات، بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية المطلوبة.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فهو لأهمية الدور الذي أدته هذه الأسرة في ظل هذه الحقبة الزمنية للنهوض بالإمبراطورية، وأيضا لدراسة الإصلاحات التي اتخذتها الإمبراطورية، وأيضا لمعرفة مدى تأثير الأخطار الخارجية عليها.

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربع محاور وهي كالآتي: -

المحور الأول سأحدث فيه عن نشأة (جستينيان الأول 527-610م) والظروف التي ساعدته على ارتقاء العرش، وسأتناول في المحور الثاني سياسة (جستينيان) الداخلية من خلال أعماله القانونية والدينية والمعمارية، أما المحور الثالث فسأوضح فيه سياسته الخارجية حيث يختص بدراسة حروبه التي خاضها ضد الفرس والفاندال في شمال أفريقيا والقوط الشرقيين في إيطاليا والغربيين في إسبانيا، وكذلك حروبه مع السلاف والآفار، أما المحور الرابع سأتناول فيه أحوال الإمبراطورية عقب وفاته، وهي فترة تقلب واضطراب امتدت حتى 610م وهي من أسوأ فترات التاريخ البيزنطي مما مرت به من ظروف سيئة بسبب الصراعات الداخلية على العرش والحروب الخارجية سواء من الغرب أو الشرق.

بالإضافة بأني أردفت بحثي بخاتمة تناولت فيها أهم نتائج هذه الدراسة.

الأوضاع السياسية في عهد الإمبراطور جستينيان الأول: -

المحور الأول: نشأة جستينيان 527-610 م

المحور الثاني: سياسته الداخلية

المحور الثالث: سياسته الخارجية

المحور الرابع: خلفاؤه

المحور الأول: نشأة (جستينيان الأول Justinianus I: 527-565م) ووصوله إلى الحكم:

مات الإمبراطور (أنستاسيوس Anastasius، 491-518م) آخر أباطرة الأسرة الليونية عام 518م ولم يكن له وريث للعرش، فانتقل الحكم إلى رئيس حرسه (جستين الأول Gustin I، 518 - 527 م)⁽¹⁾؛ وهو من أصل مقدوني عاش حياته في صورة بسيطة وظهر بمظهر الفلاح، وبمجرد وصوله إلى القسطنطينية التحق بالخدمة في الجيش وأخذ يتدرج في سلك الجيش حتى صار قائداً للحرس الإمبراطوري، وظل يتقدم حتى أصبح (كومس Comes).⁽²⁾ ثم ما لبث أن أصبح إمبراطوراً، ولتقدمه في السن ترك سياسة الأمور وإدارة دولا ب الحكم في يد ابن أخيه المسمى (جستينيان).⁽³⁾

(1) يوسف، جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية " 284 - 1453م "، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م، ص 16.

(2) كومس: هو الرائد الذي يقود الفرق العسكرية من ثلاثمائة أو أربعمائة جندي. غنيم، أسمت، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية " 284 - 1453م "، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص 23 .

(3) نفسه.

ينتمي (جستينيان) إلى أسرة فلاحة فقيرة من مقدونيا (Macedonia).⁽⁴⁾ وقد استدعاه (جستين) إلى القسطنطينية، وفيها تلقى العلم والفقه وأصول الحكم والقوانين والسياسة وسائر العلوم.⁽⁵⁾ ويعتبر من أعظم رجال عصره ثقافة، ويعتبر ذلك شهادة ناصعة، لما للعاصمة البيزنطية من قوة حضارية، وتتجلى عظمة هذا الرجل في اتساع أغراضه السياسية وتعدد ميوله ونزعاته.⁽⁶⁾ وكان (جستينيان) ولياً لعهد (جستين) والحاكم الفعلي للإمبراطورية، وقد أكسبته هذه الفترة خبرة واسعة في شؤون الحكم والإدارة، إلا أنه لم يتول عرش الإمبراطورية بصفه رسمية إلا في عام 627.⁽⁷⁾ وقد أولى اهتماماً بجميع الأعمال في الدولة وكان يحترم آراء من حوله من القواد والمستشارين، فحقق عن طريقهم الكثير من الانتصارات والفتوحات التي رفعت من شأن الإمبراطورية.⁽⁸⁾

اشتهر (جستينيان) بأنه الإمبراطور الساهر، لأنه حرص على مواصلة الليل بالنهار في العمل، وهو يميل إلى الذكاء والبساطة في العيش والحكمة في معاملاته، وجلده في العمل وعزمته التي لا تعرف الكلل في مباشرة مهام الحكم، وإلى جانب ذلك كان في بعض الأحيان تتنابه القسوة والريبة والشك، ولم يكن متسامحاً في المسائل المتعلقة بالدين، ويعتبر عصره في الواقع آخر بعث لإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة.⁽⁹⁾ ولقد ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بزوجته (ثيودورا Theodora) وهي ابنة رجل قبرصي يعمل مروضا للديبة في مسرح القسطنطينية⁽¹⁰⁾ ثم عملت بعد وفاة والدها بالتمثيل فأصبحت مصدر إثارة وتسلية لسكان القسطنطينية،⁽¹¹⁾ ثم قامت برحلة حول الشرق ومكثت فيه سنوات عدة وعادت بعدها إلى بيزنطة،⁽¹²⁾ وهي بغياتها الجديدة اتصفت بالتعقل والاعتزان، واعتزلت الناس وأمضت شطراً من وقتها في غزل الصوف، وأبدت اهتماماً كبيراً بالمسائل الدينية وبهذه الهياة رآها (جستينيان) لأول مرة وأعجب بها.⁽¹³⁾ وفي عام 526 م أعلن رغبته في الزواج من الراقصة - فيما سبق - ثيودورا، وكان هذا الخبر قد أزعج الناس من حوله، لما تتمتع به الممثلات البيزنطيات من شهرة في الفجور وسوء الأخلاق، فضلاً عن أنه يوجد قانون في الإمبراطورية يحرم على عضو السناتو (Senato) - مجلس الشيوخ - أن يتزوج من ممثلة، وفي سبيل زواجها ألغى (جستينيان) هذا

⁽⁴⁾ مقدونيا: إقليم يقع في جنوب شرق أوروبا يشبه جزيرة البلقان وعاصمتها سالونيك، وكانت مقدونيا في العصور الوسطى خاضعة للأباطرة البيزنطيين، وكان حكمهم لها مضطرباً لأنها كانت باستمرار فريسة سهلة للعدو وخاصة البلغار حتى صارت رقعة خليط من الأديان والقوميات من المسيحيين والمسلمين واليهود والبلغار واليونانيين. سعيد، حسين، الموسوعة الثقافية، القاهرة، دار المعرفة، 1972م، ص 936.

⁽⁵⁾ ابن ناصر، خليفة، صلاح هادي الحيدري، موجز تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ليبيا، جامعة درنة، ط2، 2002م، ص 44.

⁽⁶⁾ العربي، السيد الباز، الدولة البيزنطية " 323 - 1081 م"، بيروت، دار النهضة العربية، 1982م، ص 65.

⁽⁷⁾ عمران، محمود سعيد، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، بيروت، دار النهضة العربية، 2003م، ص 46.

⁽⁸⁾ غنيم، المرجع السابق، ص 24.

⁽⁹⁾ يوسف، المرجع السابق، ص 70.

⁽¹⁰⁾ مسرح القسطنطينية: محور الحياة البيزنطية وهو مبنى ضخم فسيح يتسع لأربعين ألف شخص، وفي القرون الأولى يعتبر المكان الذي يخاطب فيه الإمبراطور شعبه ويؤدي تسريحاته ويتوج فيه، وينفذ فيه أحكام الإعدام، ويشاهد فيه أيضاً ألعاب السيرك وسباق العربات لذلك أطلق عليه فيما بعد ميدان السباق. رنسيان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، (ت: عبدالعزيز توفيق جاويد)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1993م، ص 63.

⁽¹¹⁾ الشيخ، محمد محمد مرسى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م، ص 146.

⁽¹²⁾ بوكويوس، التاريخ السري، (ت: صبري أبو الخير)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م، ص 88.

⁽¹³⁾ العربي، المرجع السابق، ص 66.

القانون، ليجعل زواجه شرعياً⁽¹⁴⁾ وبذلك فتح المجال أمام الآخرين لكي يتزوجوا من العاهرات،⁽¹⁵⁾ وقد أغضب ذلك الأوساط المحافظة من أهل القسطنطينية، وحاول (جستين) أن يبعده عن تحقيق غرضه ولكن دون جدوى، ولم يلبث أن نقلها إلى القصر الإمبراطوري وتوجت بلقب بطريفة⁽¹⁶⁾ وعلى أية حال تزوج (جستينيان) من (ثيودورا) ورفعها إلى الوسط الأرستقراطي البيزنطي وأصبحت وفيه لزوجها، وقد امتازت بحسن تفهمها للسياسة والإدارة والحكم، حتى شاركت زوجها في الحكم، ففرض على الحكام الولايات تأدية اليمين والولاء لهما كأئمتها شخص واحداً.⁽¹⁷⁾ كانت الإمبراطورة تحب مظاهر الغرور والتعالي والطمع التي تحيط بالإمبراطورية، من ذلك كانت تعاون المظلومين، وتحسن إلى الفقراء والمعوزين، ولها اهتمامات بالمرأة والعمل على رفع مستواها،⁽¹⁸⁾ من ذلك وضع الأنظمة التي من شأنها إصلاح حال النسوة ذوات الأخلاق المهينة، اللاتي وقعن في الخطيئة.⁽¹⁹⁾ إذ أنشأت لهن ديراً عرف بدير التوبة.⁽²⁰⁾ وعاشت في جو من العفة وأصبحت هي و(جستينيان) أصحاب الملك الوحيدين.⁽²¹⁾ وأثبتت (ثيودورا) كفاءتها وقدرتها الفائقة في تصريف شؤون الدولة، ويعود إليها الفضل في احتفاظ (جستينيان) بعرشه بعد أن وقفت بصمود تجاه الثورة التي أطاحت بعرشه⁽²²⁾ التي عرفت بثورة نيقا.

المحور الثاني / سياسته الداخلية:

أما عن سياسته الداخلية فتنقسم إلى: الجانب القانوني ولم يكن للقوانين البيزنطية قواعد ثابتة يرجع إليها عند تنفيذ أحكام القضاء، لذلك وجد (جستينيان) الغموض والتناقضات تسري في نصوصها فأخذ على عاتقه مهمة جمع هذه القوانين البيزنطية؛⁽²³⁾ لتحقيق الوحدة السياسية والدينية والقانونية.⁽²⁴⁾ وقد حاول الإمبراطور (ثيودوسيوس الثاني 450-408م)⁽²⁵⁾ جمع التشريعات القانونية الخاصة بالإمبراطور منذ عصر (قسطنطينوس الأول 337-305م، Coustantius I) في شكل موسوعة عرفت باسم موسوعة ثيودوسيوس القانونية

(14) أومان، الإمبراطورية البيزنطية، (ت: مصطفى بدر طه)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص 53.

(15) بروكوبيوس، المصدر السابق، ص 102.

(16) السيد، محمود، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت)، ص 44.

(17) جيون، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، (ت: لويس إسكندر)، ج 2، بيروت، دار الكاتب العربي، (د.ت)، ص 405.

(18) يوسف، المرجع السابق، ص 74.

(19) السيد، المرجع السابق، ص 45.

(20) عمران، المرجع السابق، ص 52.

(21) بروكوبيوس، المصدر السابق، ص 103.

(22) Diehl. Charles. Byzantine Empresses. London Elek Books. 1964. p60

(23) غنيم، المرجع السابق، ص 29.

(24) سليم، صبري أبو الخير، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009م، ص 6.

(25) ثيودوسيوس الثاني: تولى الحكم وهو صغير السن، ونظراً لحداثة سنه فإنه وقع تحت تأثير أخته بلخريا وزوجها مرقيان وأهم ما يميز عهده هو عملية المزج التي تمت بين الثقافة الكلاسيكية والديانة المسيحية، فضلاً عن جمع التشريعات القانونية. عمران، المرجع السابق، ص 38 - 39.

(Codes Theodosiaus) غير أن بعض مواد القانون سقطت من هذه الموسوعة.⁽²⁶⁾ وعلى إثر ذلك كلف (جستينيان) نخبة من خيرة فقهاء القانون تحت رئاسة وزير القضاء المسمى تريونيان بجمع القوانين الرومانية التي أصدرها أباطرة الرومان منذ عصر الإمبراطور (هادريان Hadrian، 117-138م)⁽²⁷⁾ حتى عصر (جستينيان) والعمل على تنسيقها⁽²⁸⁾ وإزالة ما علق بها من شوائب، ووضع بعض الإضافات والتغييرات إذا اقتضى الأمر، وأُتمت اللجنة أعمالها عام 529م وجمعت في مجلد واحد نسب إلى (جستينيان)، وهو مؤلف من عشرة كتب عرف بمجموعة جستينيان القانونية (Justinianus) Codex.⁽²⁹⁾

وبعد أربع سنوات تقريبا، أي في عام 533م صدر مجلد آخر عرف باسم الموسوعة الموجزة Digesta، لأنها احتوت على ما يقارب تسعة آلاف نص قانوني مع عرض منظم لكتابات الفقهاء والمشرعين الرومان.⁽³⁰⁾ وفي العام نفسه صدرت المجموعة الموجزة وهي تنقسم إلى خمسين مجلدا تضم أصول القانون البيزنطي والمبادئ الأساسية للتشريع البيزنطي أيضا، بهدف تسهيل الاطلاع والإفادة من القانون البيزنطي على طلبة الجامعات والدارسين، وهو ما عرف فيما بعد باسم المتحجرات، وتألقت مدونة جستينيان (القانونية) والموسوعة والمتحجرات ما عرف باسم مجموعة القانون المدني، وهي المجموعة التي خلدت اسم (جستينيان) وجعلته من عمالقة التاريخ الأوروبي الوسيط.⁽³¹⁾

وقد أنشأ (جستينيان) أيضا ما يعرف بالقضاء العسكري والمحاكم العسكرية، التي ترفع إليها القضايا التي يكون فيها الجند أحد طرفي النزاع، ويكون القضاة في هذه المحاكم من العسكريين، وكذلك ظهر ما يعرف بالمحاكم الكنسية الخاصة بقضايا رجال الدين ويكون القاضي فيها من الأساقفة، وما يصدره الأسقف في المحكمة الكنسية يقوم القاضي بتنفيذه نيابة عنه.⁽³²⁾ وهكذا فإن لقوانين (جستينيان) أهمية كبيرة، فقد حفظت التراث القانوني الروماني القديم، وأكدت أهمية الإمبراطور وسلطاته.⁽³³⁾ ولما كانت اللغة الإغريقية هي لغة غالبية سكان الإمبراطورية فمن الطبيعي أن تصدر معظم هذه القوانين الجديدة باللغة الإغريقية.⁽³⁴⁾

(26) حافظ، أحمد غانم، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2007م، ص 192.

(27) هادريان: إمبراطور روماني ولد في عام 76م وتوفي عام 138 وشغل منصب الإمبراطور ما بين (117 - 138 م) بعد أن أثبت كفاءة ممتازة في قيادة الجيوش والإدارة، وقد دعم حكمه بالقوة وحسن السياسة، وتنقل في أرجاء الإمبراطورية وزار مصر وجعل المدن بالمنشآت وأهتم بالفنون. سعيد، المرجع السابق، ص 1017.

(28) الشاعر، محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر يوستينيانوس"، بورسعيد، الهيئة المصرية للكتاب، 1989 م، ص 92.

(29) موس، هسانت. ل ب، ميلاد العصور الوسطى "395-814م"، (عبد العزيز توفيق جاويد)، القاهرة، عالم الكتب، 1967م، ص 192.

(30) حافظ، المرجع السابق، ص 193.

(31) الشيخ، المرجع السابق، ص 189.

(32) سليم، المرجع السابق، ص 159.

(33) ابن ناصر، المرجع السابق، ص 61.

(34) الشاعر، المرجع السابق، ص 97.

أما في المجال الديني فقد بذل (جستينيان) جهداً كبيراً من أجل تنصير الإمبراطورية والقضاء على الوثنية، التي كان لها تأثيراً كبيراً من الناحيتين التعليمية والثقافية،⁽³⁵⁾ إذ حرم الإمبراطور الوثنيين من حق التدريس وأحرق كتبهم ومؤلفاتهم⁽³⁶⁾. وفي المقابل عمل على نشر المسيحية داخل وخارج إمبراطوريته، ودأب على إرسال البعثات التبشيرية إلى المناطق التي لم تصل إليها المسيحية وقد أثمرت جهوده في ذلك كثيراً.⁽³⁷⁾ وكان الغرض من ذلك تأكيد استطاعته أن يعيد الوحدة الدينية إلى المسيحيين مثلما أعاد لهم الوحدة السياسية، ولكنه تجاهل ما بين الشرق والغرب من اختلافات مذهبية.

أما من الناحية المعمارية فقد أظهر (جستينيان) اهتماماً كبيراً بالحركة العمرانية، فعبّد الطرق وبني الجسور والقصور والمستشفيات والحمامات والمسارح.⁽³⁸⁾ وتأتي على رأس هذه المنشآت جميعاً إعادة بناء كنيسة (آيا صوفيا AyaSofie) التي تعرف أيضاً بكنيسة الحكمة عام 532م وهي أعظم ما شيد في العاصمة، فحاءت آية من آيات الفن والمعمار البيزنطي، لما تمتاز به من عظمة وجمال وحسن تنسيق، وما تحويه من نوافذ عديدة وقباب وأروقة وأشكال زاخرة بالفسيفساء، ما جعلها من أعظم التحف الفنية الخالدة التي خلفتها العصور الوسطى.⁽⁴⁰⁾

أما الناحية المالية والإدارية فلم تتناسب مشاريع (جستينيان) مع طاقة الإمبراطورية المالية، ولتخفيف العبء على سكانها لجأ إلى طريقة لخفض النفقات، وهي مهادنة بعض الدول المعادية وشراء رضاهم بالأموال كما فعل مع الفرس، وقام أيضاً بإدماج بعض الولايات مع بعضها، وقلل عدد الموظفين وزاد رواتبهم، حتى يشجعهم على العمل، كما وضع السلطتين الإدارية والعسكرية في يد واحدة، وبذلك عمل على تقوية الحكومة المركزية.⁽⁴¹⁾ وهكذا يعتبر عصر جستينيان آخر مراحل عظمة الإمبراطورية الرومانية اللاتينية وبعدها أخذت الإمبراطورية تصطبغ بالصبغة الإغريقية.

(35) ابن ناصر، المرجع السابق، ص 61.

(36) الشاعر، المرجع السابق، ص 147.

(37) غنيم، أسمت، إمبراطورية جستينيان، جدة، دار المجمع العلمي، 1977 م، ص 82.

(38) عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوروبا العصور الوسطى "التاريخ السياسي"، ج 1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 10، 1986 م، ص 122.

(39) آياصوفيا: آيا لفظ يوناني معناه القديس أو القديسة وهو مستعمل في معظم اللغات الأوروبية. صوفيا كنيسة تقع في القسطنطينية وتمثل أروع الفنون البيزنطية في زمن يوستينيانوس، ولقد بنيت في الفترة ما بين 532 - 537م بإشراف المعمارين أنثيميوس وإيسيدور؛ وكانت تسمى حوالي عام 400م صوفيا من غير الأداة، وفي القرن الخامس الميلادي كانت تسمى (أكياصوفيا)، وقد تعرضت لنكب الزلازل والحرائق وقام يوستينيانوس بإعادة بنائها وهي تمثل أكبر مسجد في القسطنطينية. البهنسي، عفيف، الفنون القديمة، لبنان، دار الرائد اللبناني، 1982م، ص 297؛ فشر، هـ.ا.ل، تاريخ أوروبا بالعصور الوسطى، (ت: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العربي)، القاهرة، دار المعارف، ط 5، 1969م، ص 55؛ هوتسما، دائرة المعارف الإسلامية، (ت: إبراهيم زكي حورشيد وآخرين)، ج 1، القاهرة، دار الشعب، 1933 م، ص 116 - 123.

(40) يوسف، المرجع السابق، ص 85.

(41) عمران، المرجع السابق، ص 51.

المحور الثالث / سياسته الخارجية:

أول ما يلاحظ عن سياسة (جستينيان) الخارجية كثرة حروبه، التي تنقسم إلى قسمين-حروب هجومية، وهي التي شنّها على الممالك الجرمانية في غرب أوروبا، وحروب دفاعية، ويقصد بها الدفاع عن أطراف الإمبراطورية أي التي وجهها ضد الفرس في الشرق والصفالبة في الشمال. (42) وقد وقعت أحداث الحروب الفارسية الأولى في الفترة ما بين (527-532م) وكانت الأسباب الرئيسية لهذه الحروب ترجع إلى أن (قباز 488،Coppad-531م) ملك الفرس كان قد تقدم في العمر وأراد أن يضمن العرش لابنه الصغير المسمى (كسرى أنوشروان، 531-579م) فطلب من (جستينيان) أن يتبناه، لكي يحفظ له العرش، فعُدل جستينيان عن ذلك فتوترت العلاقات بين الطرفين، فاتخذ (قباز) ذلك سبباً رئيساً لإعلان الحرب على الإمبراطورية البيزنطية وكان ذلك عام 528م. (43)

وضع (جستينيان) قواته تحت قيادة قائده (بلزاريوس Belisarius) الذي كان حاكماً على تراقيا، واتجه إلى مدينة (داريوس Darius) الواقعة في بلاد ما بين النهرين عام 530م، ونجح في وقف تقدم القوات الفارسية، ثم ما لبث أن توفي (قباز) في العام التالي وتولى الحكم من بعده ابنه كسرى، الذي عرض الصلح على (جستينيان) عام 533م. (44) وتضمن هذا الصلح تعهد الإمبراطورية البيزنطية دفع جزية سنوية للفرس، ولم يتردد (جستينيان) في قبول ذلك لكي يتفرغ لمشروعاته في الغرب وإعادة الإمبراطورية إلى سابق مجدها. (45)

ثم تجددت الحرب مرة أخرى بين الطرفين، البيزنطي والفارسي عام 540م وترجع أسباب الحرب هذه المرة إلى انتصارات (جستينيان) في الشمال الأفريقي وإيطاليا، وهي الانتصارات التي أزعجت (كسرى أنوشروان) وخشي أن تدور الدائرة عليه، فجهز جيشاً كبيراً وسار إلى بلاد الشام وأغار عليها واستولى على بعض مدنها واتجه إلى أنطاكية (Antakya) (46) فانزعجت حاميتها ولاذت بالفرار. (47) حتى سقطت المدينة في أيدي (كسرى) وسماها أنطاكية الكسروية، ولم تكفّ القوات الفارسية عن القتال فاضطر (جستينيان) لمهادنتهم. (48)

(42) العربي، المرجع السابق، ص 68.

(43) عمران، المرجع السابق، ص 54.

(44) غنيم، المرجع السابق، ص 28.

(45) علي، عبدالحفيظ محمد، قوة الوندال البحرية في غرب البحر المتوسط وأثرها على غرب أوروبا، القاهرة، دار النهضة العربية، 1987م، ص 89.

(46) أنطاكية: مدينة تقع في جنوب تركيا على نهر العاصي أي عند ملتقى الطرق الممتدة من الفرات إلى البحر المتوسط، ومن البقاع إلى آسيا الصغرى، ومن ثم صارت من أهم المراكز التجارية في العالم، وأصبحت عند انتشار المسيحية مقراً للبطريركية، وقد = سقطت في يد الفرس عام 538م ثم فتحها المسلمون عام 16هـ/637م، وخضعت لبيزنطة في الفترة ما بين (359-478هـ/969-1085م)، وللسلاجقة الأتراك (478-492هـ/1085/1098) واستولى عليها الصليبيون عام 492هـ/1098م ثم سقطت في يد مماليك مصر عام 667هـ/1268م ثم الأتراك عام 923هـ/1516م وتحولت بعدها إلى سورية عام (1339هـ-/1920م ثم استعادها الأتراك عام (1358هـ/1939م). الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن محمد، معجم البلدان، ج 1، بيروت، دار القاموس، (د.ت)، ص 266-270؛ سعيد، المرجع السابق، ص 141.

(47) علي، المرجع السابق، ص 89.

(48) Oman . C.w.c. The Byzantine Empire .Lonodon . T.Fisher unwin .1892 . p 99.

لم يدم الصلح طويلاً فسرعان ما استأنفت الحرب وامتدت ما بين (542-560م) وهاجم كسرى مدينة لازيكا (lazica)⁽⁴⁹⁾ وبعد طول القتال شعر الطرفان بصعوبة الموقف، فاضطر (جستينيان) إلى أن يعقد صلحاً مع الفرس عام 561م لمدة خمسين عاماً،⁽⁵⁰⁾ تعهد البيزنطيون بدفع مبلغ ضخم سنوياً لملك الفرس، مقابل أن يتخلى الفرس عن لازيكا، وأن يتبع كسرى سياسة التسامح مع المسيحيين، وتمكن (جستينيان) بذلك من الاحتفاظ بالسيادة على لازيكا بسكانها المسيحيين وأهميتها الإستراتيجية.⁽⁵¹⁾

أما بالنسبة لفتح أفريقيا فعندما انتهى من حروبه مع الفرس بدأ يفكر جديداً في فتح شمال أفريقيا، وكان السبب الذي اتخذ ذريعة للحرب هو أن الملك الفاندالي (هيلدريك Hilderic 523-530م) الذي وصف بالضعف كان يميل إلى الإمبراطورية البيزنطية فزاد كره الفاندال (Alvandal)⁽⁵²⁾ له، فوقع شقاق في صفوفهم ونتج عن ذلك أن اغتصب (جليمار Gelimar 530-534م) السلطة من ابن عمه (هيلدريك) فاستغل (جستينيان) ذلك، لاسيما أن هناك قوات كبيرة من الفاندال.⁽⁵³⁾ كانت قد توجهت إلى سردينيا (Serdinia)⁽⁵⁴⁾ لقمع فتنة قامت بها، فأرسل (جستينيان) حملة إليهم في عام 533م بقيادة (بلزاريوس) الذي أعلن أنه ماجاء إلا لنصرة الملك المخلوع وإعادةه إلى السلطة.⁽⁵⁵⁾

نزلت هذه الحملة على الساحل الأفريقي دون مقاومة واتخذت طريقها إلى العاصمة الفاندالية قرطاج (Carthge).⁽⁵⁶⁾ والتحم الفانداليون مع القوات البيزنطية، واستطاع (بلزاريوس) أن يحطم قوة الفاندال، وأن يجبر ملكهم (جليمار) على الاستسلام وسقطت بعدها قرطاج وعاد (بلزاريوس) إلى القسطنطينية، وصحب معه ملك الفاندال أسيراً، وبهذه الصورة عاد الساحل الأفريقي لحكم الإمبراطورية البيزنطية.⁽⁵⁷⁾ وقد استمرت الحروب مع

(49) لازيكا: هي المنطقة الواقعة عند الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأسود. هسي، ج م، العالم البيزنطي، (ت: رأفت عبد الحميد)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م، ص 95.

(50) علي، المرجع السابق، ص 89.

(51) هسي، المرجع السابق، ص 95.

(52) الفاندال: تركوا في باتيكا الواقعة في جنوب إسبانيا نتيجة لتعرضهم للضغط الشديد من قبل القوط الغربيين، فعبروا بذلك مضيق جبل طارق نحو الشمال الأفريقي حتى تمكنوا من دخول الأراضي الأفريقية (التونسية) والسيطرة على مدينة قرطاج عام 429 م. الربيعي، إسماعيل نوري، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار شعور الثقافة، 2001م، ص 32.

(53) علي، المرجع السابق، ص 86.

(54) سردينيا: جزيرة إيطالية بغرب البحر المتوسط وعاصمتها كالياري، بها أراض واسعة للرعي، وقد استقر بها القرطاجينيون ثم فتحها الرومان عام 238 ق.م، وغزاها الفاندال في القرن الخامس الميلادي ثم استرجعتها بيزنطة في القرن السادس الميلادي وظلت بعدها تابعة لإسبانيا حتى عام 1125هـ / 1713م. سعيد، المرجع السابق، ص 541.

(55) الشيخ، المرجع السابق، ص 149.

(56) قرطاج: مدينة قديمة تقع بالشاطئ الشمالي لأفريقيا إلى الشرق من مدينة تونس الحالية، وأسسها الفينيقيون في القرن التاسع ق.م وأطلقوا عليها اسم بورصة أي القلعة، وكانت حكومتها أوليجاركية (حكماً أقلية)، وكان يحكمها حاكمان يختاران مدى الحياة، كما كان بها مجلس للشيوخ، وقد نشطت تجارتها حتى أخذت في القرنين الخامس والسادس ق.م تسيطر على غرب البحر المتوسط. سعيد، المرجع السابق، ص 757.

(57) غنيم، المرجع السابق، ص 26.

الفاندال من (533-548م) ولم تكن هذه الفترة كلها حروباً بل تخللتها فترات من الهدوء والسلام، وبالرغم من ذلك فإن الفتوحات التي قامت بها الدولة البيزنطية لم تحقق آمال (جستينيان)، لأن الجزء الغربي من الشمال الأفريقي والممتد حتى ساحل المحيط الأطلسي لم يخضع منه للإمبراطورية سوى معقل سبتم (Septem) المعروف الآن بالإسبانية بمحصن سبتة (Cebta) قرب بوغاز جبل طارق في الشمال الأفريقي.⁽⁵⁸⁾

تطلع (جستينيان) بعد ذلك إلى إيطاليا وازدادت أطماعه في استردادها من القوط الشرقيين (Ostrogoths)،⁽⁵⁹⁾ وقد دفعه إلى ذلك ما حدث من نزاعات داخلية بين حكامها فبعد وفاة (ثيودوريك Theodoric، 493-526م) ملك القوط الشرقيين عام 526م خلفته على العرش ابنته (أمالاسونتا Amalasueta) وصية علي ابنها ولم يرض هذا الأمر زعماء القوط فأشركت معها في الحكم ابن عمها (ثيوداهات Thodahat) ونتيجة لصراعات القوط الداخلية على العرش فكر (جستينيان) في غزو إيطاليا،⁽⁶⁰⁾ وألقى هذه المهمة علي عاتق قائده (بلزارايوس Bilssaruse) ففي عام 535م تحرك فوراً علي رأس جيشه صوب شبه الجزيرة الإيطالية فنزل في صقلية (Sicilia).⁽⁶¹⁾ فلقي ترحيباً من أهلها ولم يلق أي مقاومة،⁽⁶²⁾ ثم شق طريقه فاستولى بجنوده على العاصمة نابولي عام 536م وعلى إثر سقوطها خلع الجيش (ثيوداهات) وذبحوه وعينوا مكانه (ويتيجر Witiger) الذي انسحب إلى عاصمة القوط الشرقيين رافنا (Ravenna) - شمال شرق إيطاليا- لينظم قواته فأعطى بذلك الفرصة للبيزنطيين للسيطرة على روما وتمكنوا من إنزال الهزائم بالجيش القوطي عام 540م.⁽⁶³⁾

وأثناء هذه الأحداث خشى (جستينيان) من غدر الفرس لأن الصلح الذي عقده معهم لم يمنحه سلاماً، فاضطر إلى عقد الصلح مع القوط حتى لا يفتح أمامه جبهات أخرى للحرب، وقد أبدى (بلزارايوس) رفضه، وفي سبيل إرضائه عرض عليه القوط أن يكون ملكاً عليهم فوافق، ولكنه ما كاد يدخل رافنا ويسيطر على زمام الأمور حتى نقض وعده

⁽⁵⁸⁾ العريفي، المرجع السابق، ص 72.

⁽⁵⁹⁾ القوط الشرقيون: شعب جرمانى استقروا في القرن الثالث الميلادي شمال البحر الأسود وقد أذعنوا لقبائل الهون عام 370م وبعد وفاة زعيمهم توتيلا (541-552 م) نزلوا في بانونيا (البحر الحالية) وحالفوا الإمبراطورية البيزنطية وأقاموا مملكة قوطية لهم بإيطاليا وتأثروا بالحضارة البيزنطية ولكنهم اتبعوا الديانة الآريوسية. سعيد، المرجع السابق، ص 775.

⁽⁶⁰⁾ عمران، المرجع السابق، ص 58.

⁽⁶¹⁾ صقلية: جزيرة بإيطاليا في جنوب أوروبا وكانت تتمتع بالحكم الذاتي ويفصلها عن البر مضيق مسينا، عاصمتها بالرومو وتمثل أكبر جزر البحر المتوسط، وهي مثلثة الشكل وقد استعمرها قديماً الفينيقيون والقرطاجيون والإغريق ثم الرومان بعد انتصارهم على القرطاجيين في الحروب البونية الأولى عام 241ق. م ثم سيطرت عليها بيزنطة عام 535م ومن بعدهم فتحها المسلمون بين عامي (212هـ و 264هـ / 827م و 877م) ودخل كثير من أهلها في الإسلام ونشأت بها جامعة إسلامية ببارمو واشتهرت بكثرة مساجدها وظلت حتى فتحها النورمان عام (483هـ / 1090م). عطية الله، أحمد، دائرة المعارف الحديثة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1951 م، ص 271؛ الحموي، معجم البلدان، مج 3، بيروت، دار بيروت، 1957م، ص 416-419؛ سعيد، المرجع السابق، ص 620.

⁽⁶²⁾ الشيخ، المرجع السابق، ص 150 - 151.

⁽⁶³⁾ عمران، المرجع السابق، ص 58.

وأعلن تمرده وعصيانه.⁽⁶⁴⁾ وكان من نتائج ذلك أن ثار القوط بزعامة ملكهم (توتيلّا Totila، 541-552م) وهو آخر مدافع عن استقلالهم واستطاع أن يقلب موازين الأمور رأساً على عقب، وحقق انتصارات بحيث بلغت ذروتها من الخطورة أن عجز (بلزاريوس) عن السيطرة على الأمور واستعاد بذلك (توتيلّا) روما عام 549م واستطاع القوط بفضل قيادته أن يسترجعوا جميع إيطاليا ماعدا رافنا، لذلك عرض الصلح على جستينيان إلا أن الأخير رفض وأصر على الحرب والفتح والنصر.⁽⁶⁵⁾

بعث (جستينيان) أحد قواده ويدعى (نارسييس Narses) الذي اشتهر بمقدرته الحربية ودرايته السياسية على رأس جيش كبير استطاع أن يقهر القوط رغم استماتتهم في القتال، إلا أنهم انهزموا ولقي (توتيلّا) مصرعه على إثر ذلك عام 552م،⁽⁶⁶⁾ واستسلم القوط الشرقيين نهائياً عام 553م، وبعث بالتالي القوط إلى (نارسييس) يطلبون منه السماح لهم بمغادرة إيطاليا فوافق.⁽⁶⁷⁾ وبهذا انتهى حكم القوط الشرقيين بإيطاليا، وفي عام 554م أعيدت إيطاليا من جديد إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية.⁽⁶⁸⁾

أما إسبانيا فقد استقر فيها القوط الغربيون (Visigoths)⁽⁶⁹⁾ في عصر ملكهم (ثيودوريك الأول Theodoric I، 419-451م) بعد أن أجبروا الفاندال على النزوح إلى شمال أفريقيا في عام 429م، وفي عصر ملكهم (ثيوديس Theodes، 531-548م) استطاعوا مد نفوذهم إلى مدينة سبته الواقعة في الشمال الأفريقي، ولكن (بلزاريوس) تمكن من طردهم. ولم يستسلم القوط بل حاول (ثيوديس) استعادتها، لتقوية نفوذه إلا أنه فشل وما لبث أن قتل وعينوا بدلاً منه القائد (ثيوديجيزل Theodigisel، 548-549م) إلا أن حكمه لم يستمر طويلاً.⁽⁷⁰⁾ وقد استغل (جستينيان) ما بين القوط الغربيين من صراعات داخلية حول العرش فأرسل إليهم أسطولاً عام 550م في إسبانيا وتمكن من إحراز النصر عليهم.⁽⁷¹⁾

تعاقب على العرش القوطي بعد وفاة (ثيوديجيزل) عددا من الملوك حتى وقع اختيارهم على الملك (أجيلا Agila، 549-554م) ولكنه كان آريوسي المذهب، ولم يرض أمراء جنوب إسبانيا، لأنهم كانوا يميلون إلى

⁽⁶⁴⁾ نفسه، ص 59.

⁽⁶⁵⁾ العرني، المرجع السابق، ص 73.

⁽⁶⁶⁾ فشر، المرجع السابق، ص ص 49 - 50.

⁽⁶⁷⁾ الشيخ، المرجع السابق، ص 153.

⁽⁶⁸⁾ غنيم، المرجع السابق، ص 27.

⁽⁶⁹⁾ القوط الغربيون: القسم الثاني من القوط وكانوا يقيمون في سهول روسيا الجنوبية الغربية ثم اتجهوا غرباً تحت ضغط الهون فهاجروا إلى مقدونيا، واستولوا على بلاد اليونان وغرب روما وأقاموا دولة لهم في جنوب غالة (فرنسا الحالية) ثم نزحوا إلى إسبانيا وأقاموا ملكاً لهم قضى عليه المسلمون في عام 93هـ / 711م وكانوا يعتنقون الديانة المسيحية على المذهب الآريوسي. هادريل، ج. مولاس، أوروبا في صدر العصور الوسطى " 400-1000 م، (ت: حياة ناصر الحجي)، (د.ت)، ص 47؛ عطية الله، المرجع السابق، ص 52؛ يوسف، المرجع السابق، ص 68.

⁽⁷⁰⁾ عمران، المرجع السابق، ص 60.

⁽⁷¹⁾ غنيم، المرجع السابق، ص 27.

(الإثناسيوسية Athanasiusia)⁽⁷²⁾ وقد حاول (أجيلا) أن يخضع الثوار الذين ثاروا ضده ولكنه فشل، فاستغل الإمبراطور البيزنطي ذلك فأرسل إلى حاكم الشمال الأفريقي (ليوروس Liborus) أن يعبر بقواته إلى إسبانيا، وقد أسرع (ليوروس) بالعبور وبأغت القوط ونزل عند مدينة قادس (Cadiz) -غرب الأندلس - واستولى على الساحل الجنوبي للمدينة،⁽⁷³⁾ وتقدمت القوات القوطية جنوباً حتى وصلت أشبيلية - جنوب غرب إسبانيا - والتقى (أجيلا وليوروس) في معركة حاسمة هزم فيها (أجيلا) واضطر إلى الفرار، فقام أتباعه بقتله وتولى أمرهم (أثاناجيلد Athanagild، 554- 567 م) الذي استطاع أن يلحق بالقوات البيزنطية عدة هزائم، وانتهت الحرب آخر المطاف بين الطرفين إلى عقد صلح احتفظ بموجبه كلا الطرفين بما وقع في يده من ممتلكات.⁽⁷⁴⁾

أما حروب (جستينيان) مع السلاف (Selave)⁽⁷⁵⁾ والأفار - الذين ظهروا لأول مرة باسمهم الحقيقي الصقالبة في زمنه - فقد دأبوا على أن يعبروا نهر الدانوب (Aldanob)⁽⁷⁶⁾ وتغلغلوا في أعماق الأقاليم البيزنطية، فأتوا على كل ما يصادفهم حرقاً وتقتيلاً، وحدث في زمن هذا الإمبراطور أن تحركوا نحو بحر إيجه (Eiga)،⁽⁷⁷⁾ فهددوا في طريقهم مدينة سالونيك (Thessalonic)⁽⁷⁸⁾ ثاني مدن الإمبراطورية البيزنطية أهمية.⁽⁷⁹⁾ وكان من الطبيعي على الإمبراطور البيزنطي أن يعمل ما في وسعه لكي يبعد أخطار هذه الأقوام عن حدود الإمبراطورية خاصة أن خطر هذه الأقوام أخذ يزداد، وكانوا يغيرون على كل المدن التي يمرون بها بالنهب والسلب ويعودون بعدها إلى ما وراء الدانوب،⁽⁸⁰⁾ حتى استقر

(72) الإثناسيوسية: نسبة إلى أثناسيوس شماس الإسكندرية ولد فيها عام 296 م من أبوين مسيحيين، وكان مذهبه قائم على أن الأب والابن والروح من جوهر واحد ومن مادة واحدة لا يمكن تقادم أحدهما على الآخر وقد ثار الأريوسيون عليه لمخالفته مذهبهم، وتوفي أثناسيوس في الإسكندرية عام 373 م. البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مج 1، بيروت، مطبعة المعارف، 1876م، ص 506.

(73) عمران، المرجع السابق، ص ص 60 - 61.

(74) عمران، المرجع السابق، ص ص 60 - 61.

(75) السلاف: يرجع أصلهم إلى الجنس الأري أو الهند أوروبي وأخذوا يتوسعون في أوروبا نحو الغرب والجنوب حتى استقروا بين جبال الأورال والبحر الأدرياتيكي في أوروبا الشرقية والوسطى، وتنتمي لغاتهم إلى مجموعة اللغات الهند أوروبية، وقد تعرضوا إلى كثير من المتاعب في أوائل العصور الوسطى بسبب ضغط العناصر الآسيوية والجرمانية ما عرض الكثير منهم للاستعباد؛ حتى اشتقت كلمة (عبد) في كثير من اللغات الأوروبية من اسم السلاف. وينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسة صقالبة الغرب والشرق والجنوب ومن أبرز معالم تاريخهم ظهور روسيا وتوسعها. عاشور، المرجع السابق، ص 608؛ سعيد، المرجع السابق، ص 620.

(76) نهر الدانوب: نهر طوله 2816 كم بوسط و جنوب شرقي أوروبا وهو من أكبر أنهار أوروبا بعد الفولجا، مساحة حوضه 828800 كم² وهو ينبع من هضبة الغابة السوداء بجنوب غربي ألمانيا ويجري نحو الجنوب الشرقي بوجه عام عبر جنوبي ألمانيا وشرقي النمسا وشمال شرقي يوغسلافيا، و جنوب شرقي رومانيا - جنوب شرق أوروبا ليصب في البحر الأسود. غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، الدار القومية، 1965م، ص ص 778 - 779.

(77) بحر إيجه: يمتد من شبه جزيرة البلقان غرباً وآسيا الصغرى شرقاً، وترافقها شمالاً وكريت جنوباً، واشتق اسم هذا البحر من اسم العاصمة القديمة لمقدونيا مدينة إيبي؛ وهو يضم مجموعة من الجزر. غربال، المرجع السابق، ص 328.

(78) سالونيك: تقع في شمال شرق اليونان على خليج سالونيك أي على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي، وتقوم على جزيرة صغيرة في بحر إيجه وهي ثاني مدن اليونان أهمية وهي ذات مركز صناعي اشتهر بصناعة المنسوجات والسلع الجلدية والآلات والأدوات، وقد ازدهرت مصنوعات تحت الحكم الروماني والبيزنطي. غربال، المرجع السابق، ص 947.

(79) العربي، المرجع السابق، ص 77.

(80) ابن ناصر، المرجع السابق، ص 54.

بم الأمر أخيراً في شبه جزيرة البلقان، ولم يفعل الإمبراطور شيئاً إزاء ذلك، ولهذا فإن سياسته في الشمال كانت دفاعية بحتة، ولم يكن لديه وقتاً ليرسل إلى هذه المنطقة حملات عسكرية ذات فعالية. (81)

المحور الرابع / خلفاؤه :

بعد وفاة (جستينيان) ترك شعبه في حالة من الفقر والبؤس، نتيجة للسياسة الحربية التي اتبعها وهي تتمثل في حروبه مع الشرق والغرب، تلك الحروب التي أجهدت كاهل جنده، فتعاقب على عرش الإمبراطورية بعده أربع أباطرة هم:

1- يوستين الثاني Justin II (565 – 578 م):

توفي (جستينيان) دون أن ينجب من يخلفه على عرش الإمبراطورية وكان يثق بابن أخته (جستين) كثيراً ويستشير به في أمور الدولة، لذلك بعد وفاته تم ترشيحه من قبل مجلس الشيوخ بأن يتولى العرش. (82) وكان (جستين) نشيطاً وشجاعاً وشديد الحزم في علاقاته الخارجية وكان أول ما فعله هو رفضه دفع الجزية السنوية التي كان (جستينيان) يدفعها للفرس فأدى هذا إلى إشعال الحرب من جديد بين الفرس والبيزنطيين، (83) نتج عنها اجتياح الفرس الحدود الشرقية للإمبراطورية حيث قاموا بمحاصرة حصن داريوس الذي ما لبث أن سقط في أيديهم، فأدى خبر سقوطه إلى ذهاب عقل (جستين). (84) فتولت أمور الحكم زوجته (صوفيا) التي فاوضت الفرس من أجل السلام، ودفعت في هذا السبيل غرامة حربية كبيرة قدرها 45 ألف دينار ذهبي، وكان يعاونها (تيريوس) قائد الحرس الإمبراطوري وابن (جستين) بالتبني ومنحته لقب قيصر إلى أن مات (يوستين) فتولى عرش الإمبراطورية. (85)

2- تيريوس الثاني Tiberius II (578 – 582 م) :

كانت مدة حكمه قصيرة لم تتجاوز خمس سنين يسودها الود والسلام، ووجد أن خير وسيلة يتقرب بها إلى شعبه أن يرفع عن كاهلهم عبء الضرائب، معتمداً على الأموال التي جمعها سلفه. (86) أما سياسته الخارجية فلم تعتمد على غزو الفرس وإنما كان يهدف إلى عقد صلح معهم، ودارت الحرب سجالاً بينهما ولكن تحت ضغط هجوم الصقالبة على الأقاليم البيزنطية، فاضطر إلى عقد صلح مهين مع الفرس نظير إتاوة كبيرة يدفعها لهم، واختار زوج ابنته الذي يدعى (موريس) ليكون خليفته في الحكم بعد وفاته. (87)

(81) هسي، المرجع السابق، ص 96.

(82) غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية " 1453-284 م"، ص 30 – 31.

(83) عمران، المرجع السابق، ص 63.

(84) غنيم، المرجع السابق، ص 32.

(85) حافظ، المرجع السابق، ص 196.

(86) عمران، المرجع السابق، ص 63.

(87) حافظ، المرجع السابق، ص 197.

3- موريس Mourice (583-602 م) :

تولى (موريس) عرش الإمبراطورية في الثالثة والأربعين من عمره، وكان من أشهر خلفاء (جستينيان)، إذ عمل لبعض الوقت في الإدارة القضائية، ثم التحق بخدمة الجيش حتى أصبح قائد الحرس الإمبراطوري، واشتهر بشجاعته وعدله وحزمه؛ فاحترمه الشعب ووثق به (تيريوس) فزوجه ابنته عام 582 م.⁽⁸⁸⁾ وكان (موريس) خبيراً في شؤون الدولة إلا أنه كان قليل الخبرة في النواحي المالية، لذا تزايدت أعباء الدولة فاضطر إلى رفع الضرائب وأجبر الشعب على دفعها ونتيجة لذلك فقد شعبيته.⁽⁸⁹⁾

أما سياسته الخارجية مع الفرس فقد شاءت الظروف أن تنتهي نهاية مرضية بوفاة (كسرى أنوشروان) عام 579 م، واختلاف أبناء البيت الساساني على الحكم، فنتج عن ذلك مساعدة (موريس) لأحد المطالبين بالعرش ونجاحه في إقامته على الحكم باسم (كسرى الثاني أبرويز) (590 - 628 م).⁽⁹⁰⁾ أما سياسته حيال السلاف والأفار فكانت تتلخص في دفعهم إلى الدانوب، ليجعل منهم حداً فاصلاً بين الدولة البيزنطية وجيرانها الطامعين فيها، وكان ذلك ضد رغبة الجند فقامت ثورة ضده أدت إلى تنحيه عن العرش عام 602 م.⁽⁹¹⁾

4- فوكاس Phocas (602-610 م) :

لم تكن لدى هذا الإمبراطور أية خبرة سياسية أو إدارية، لذلك عمت الفوضى والفتن في زمنه فلم يستطع أن يسيطر على زمام الأمور، وفي زمنه عاد الفرس من جديد وبادروا بإعلان الحرب، وفي الوقت نفسه اشتد ضغط الأفار على الجبهة البلقانية، فما كان من (فوكاس) إلا أن يسالم الطرفين، وذلك بدفع الجزية لشراء رضاها،⁽⁹²⁾ وفي وسط هذا الجو المشحون بالأخطار الخارجية والمخاوف الداخلية الناتجة عن انتشار الوباء وقلّة المؤن تخلى خيرة قادة الجيش البيزنطي عن خدمة هذا الإمبراطور، وانتهى الأمر بتدبير انقلاب ضده وذلك بالاتفاق مع هيركوليس - حاكم قرطاجنة - وتم عزل (فوكاس). وبهذا انتهى عصر أسرة (جستينيان) وبدأ عصر أسرة جديدة لتتولى أمور الحكم، التي تتمثل في أسرة هيركوليس.⁽⁹³⁾

⁽⁸⁸⁾ عمران، المرجع السابق، ص 63 - 64.

⁽⁸⁹⁾ غنيم، المرجع السابق، ص 33.

⁽⁹⁰⁾ يوسف، المرجع السابق، ص 93.

⁽⁹¹⁾ نفسه.

⁽⁹²⁾ عاشور، المرجع السابق، ص 123.

⁽⁹³⁾ نفسه، ص 124.

الخاتمة

بعد أن تناولت بالبحث والدراسة الأوضاع السياسية للإمبراطورية البيزنطية 527-610م التي كان لها دورا بارزا في التاريخ البيزنطي في ظل أسرة (جستينيان) وخلفاؤه توصلت إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- 1- اتضح أن الدولة البيزنطية منذ بداية تكوينها إلى عصر (جستينيان) قد اصطبغت بالصبغة اللاتينية وكان (جستينيان) آخر من تحدث اللغة اللاتينية فيعتبر عصره آخر مراحل عظمة الامبراطورية الرومانية اللاتينية وبعدها أخذت الامبراطورية تصطبغ بالصبغة الإغريقية في عصر الإمبراطور هيركوليس 610-641م.
- 2- من ضمن الاستنتاجات قام (جستينيان) بالقضاء على الوثنية وإعادة نشر المسيحية، وكان هدفه من ذلك تحقيق الوحدة الدينية كما وحد السلطتين الإدارية والعسكرية ووضعهما في يد واحدة، لذلك يعتبر عصره آخر بعث لإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة.
- 3- كان له اهتمامات بالجانب القانوني، حتى أن مجموعته القانونية خلدت اسمه وجعلته من عمالقة التاريخ الأوروبي الوسيط، فلقوانين (جستينيان) أهمية كبيرة فقد حافظت على التراث الروماني القديم وأكدت على أهمية الإمبراطور وسلطانه، واستمرت قوانينه مرجعاً للإمبراطورية إلى أن سقطت عام 1453م.
- 4- أما سياسته الخارجية فتميزت بكثرة حروبه الهجومية والدفاعية، التي نتج عنها أن عاشت الإمبراطورية من بعدها في حال بؤس وفقر، نتيجة هذه الحروب التي أجهدت كاهل جنده، بالإضافة إلى الإكثار في طلب الأموال عن طريق فرض الضرائب الباهظة، مما أدى إلى استنزاف الأموال على مشاريعه سواء العسكرية أو المعمارية فنتج عن ذلك أن ترك خزانة الدولة خاوية.
- 5- تبين من الدراسة أن الدولة البيزنطية في ظل هذه الأسرة ليست ضعيفة لكن كانت تنقصها الخبرة في بعض الأمور، ولكن لم يمنع أن (جستينيان) ارتبط اسمه باسم زوجته ثيودورا التي كان لها دورا كبيرا في احتفاظ (جستينيان) بعرشه بعد أن وقفت بصمود تجاه الثورة التي كادت على اسقاط عرشه.
- 6- وأخيراً نستخلص أن الفترة الممتدة من 565-609م تولى العرش أباطرة ضعفاء قليلي الخبرة في إدارة شؤون الدولة السياسية والإدارية والمالية، وعجزوا أيضا عن صد الأخطار الخارجية، هذا فضلا عن انتشار الأمراض وفي نهاية المطاف انتهى أمر أسرة (جستينيان) بتدبير انقلاب أطاح بها، وبدأ عصر جديد لأسرة جديدة هي أسرة الإمبراطور (هيركوليس).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:المصادر:

- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن محمد. معجم البلدان، بيروت، دار القاموس، 1957م.

ثانياً:المراجع:

- ابن ناصر، خليفة، صلاح هادي الحيدري، موجز تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ليبيا، جامعة درنة، ط2، 2002م.
- البهنسي، عفيف، الفنون القديمة، لبنان، دار الرائد اللبناني، 1982م.
- حافظ، أحمد غانم، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2007م.
- الربيعي، إسماعيل نوري، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار شموع الثقافة، 2001م.
- سليم، صبري أبو الخير، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009م.
- السيد، محمود، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.
- الشاعر، محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر يوستينيانوس"، بور سعيد، الهيئة المصرية للكتاب، 1989م.
- الشيخ، محمد محمد مرسى، تاريخ أوروبا العصور الوسطي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطي "التاريخ السياسي"، ج1، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط10، 1986م.
- العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية 323-1081م، بيروت، دار النهضة العربية، 1982م.
- علي، عبد الحفيظ محمد، قوة الوندال البحرية في غرب البحر المتوسط وأثرها على غرب أوروبا، القاهرة، دار النهضة العربية، 1987م.
- عمران، محمود سعيد، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، بيروت، دار النهضة العربية، 2003م.
- غنيم، اسمت، إمبراطورية جستنيان، جدة، دار المجمع العلمي، 1977م تاريخ الإمبراطورية البيزنطية "284-1453م"، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990م.

- يوسف، جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية "284-1453م"، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م.

ثالثاً: المصادر المترجمة:

- بروكوبيوس، التاريخ السري، (ت: صبري أبو الخير)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001م.

رابعاً: المراجع المترجمة:

- أومان، الإمبراطورية البيزنطية، (ت: مصطفى بدر طه)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت).
- جيون، إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، (ت: لويس اسكندر)، ج2، بيروت، دار الكاتب العربي، (د.ت).
- رنسيومان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، (ت: عبد العزيز توفيق جاويد)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1993م.
- فشر، هـ. ا. ل، تاريخ أوروبا بالعصور الوسطي، (ت: محمد مصطفى زيادة، السيد الباز العريبي، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1969م.
- موس، هـ. سانت، ل ب، ميلاد العصور الوسطي 395-814م، (ت: عبد العزيز توفيق جاويد)، القاهرة، عالم الكتب، 1967م.
- هادريل، ج. م والاس، أوروبا في صدر العصور الوسطي 400-1000م، (ت: حياة ناصر الحجى)، (د.ت).

خامساً: دوائر المعارف والموسوعات:

- البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مج 1، بيروت، مطبعة المعارف، 1876م.
- عطية الله، أحمد، دائرة المعارف الحديثة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1951م.
- هوتسما، دائرة المعارف الإسلامية، (ت: إبراهيم زعيبي خورشيد وآخرون)، ج1، القاهرة، دار الشعب، 1933م.
- سعيد، حسين، الموسوعة الثقافية، القاهرة، دار المعرفة، 1972م.
- غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، الدار القومية، 1965م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

- Diehl .Charlas . Byzantine Empresses, London , Elek books.1964
- Oman , C.W.C, The Byzantine Empire ,London, T,

* * * * *